

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences



الدين كأسلوب للعلاج النفسي

الدكتور اسامة محمد الراضي

الرياض

1411 هـ - 1991 م

الدين كأسلوب للعلاج النفسي^(*)

الدكتور أسامة محمد الراضي

نبذة تاريخية

إمتدت الدولة الاسلامية وامتد نفوذها من الهند حتى اسبانيا وتفاعلت مع تلك الشعوب المختلفة وثبتت فيها دعائم المعرفة الاسلامية وعلوم الطب وأسس الصحة النفسية، لما ناله أطباء المسلمون في تلك الأوقات سواء في الهند وبيغداد أو دمشق أو القاهرة أو قرطبة، وهذا ما يتطلب عمل الابحاث العلمية عن أولئك الأطباء المسلمين عباقرة عصرهم ومن ناحية أخرى الرجوع الى المخطوطات المحفوظة في المتاحف الوطنية في كل من مدريد وتونس واسطنبول والقاهرة، وكذلك في العديد من المكتبات والتي تحتوي على التراث الاسلامي في العلوم الطبية والنفسية

الاضطرابات النفسية

الاضطرابات النفسية قديمة قدم الانسان، وقد كان قدماء المصريين والسوريين والرومان وفي الهند والصين وبابل يمارسون تشخيص علاج مثل تلك الحالات وكذا النظرة العلمية في عصر النهضة العلمية القديمة (٣٦٠ - ٤٦٠ ق.م) في عصر أبو قراط،

(*) ألقى هذه المحاضرة بمقر المركز بتاريخ ١٩ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ٣١ ديسمبر

وبلغت ذروة التقدم في أيام العالم الطبيب الروماني جالين، الذي بدأ في دراسة علم التشريح والفسولوجيا . تلى ذلك عهد الجهالة حيث طمست كل تلك المعالم العلمية وبالذات بالنسبة للمرض النفسي حيث ساد الاعتقاد بأنه ناتج عن غضب الآلهة والأرواح الشريرة، ثم عادت النظرة الفلسفية في القرون الوسطى، ومع ظهور الاسلام أخذ العلماء والأطباء المسلمون الطريق العلمي في دراسة النفس الانسانية والعلل النفسية والجسمية مهتدين بهدي القرآن والسنة

وكان الطبيب المسلم الكبير الرازي ينظر الى أهمية الأحداث النفسية على الجسم، وأهمية أن يعطي الطبيب المريض نظرة الأمل والراحة النفسية في العلاج الدوائي لأهمية ذلك في علاجه حتى ولو كانت حالة المريض ميئوساً منها

كما أن الطبيب المسلم العالمي ابن سينا والذي كان طبيب عصره دون منازع، كان ايمانه بأهمية وتأثير الحالة النفسية في التعامل وفي علاج المرضى جميعهم، وكذلك ملاحظاته العلمية العميقة في نبض المريض في حالات المرض النفسي الفسيولوجي، وكذلك فقد استعمل نبات روالفيا سربنتينا في علاج الحالات النفسية الحادة والذي كان يستعمل ولا يزال حتى الآن لأغراض كثيرة واستمر الكثير من علماء وأطباء المسلمين في اكتشاف الأعراض والعلاجات النفسية، وفي تأليف الكتب عن الطب النفسي والعصبي والعلاجات المفيدة لتلك الحالات.

كما أن الطبيب الاسلامي نجيب الدين سمرقندي أشار الى

استعمال القات والحشيش وغيرهما.

وفي تلك الأيام أي حوالي القرن الثامن ظهرت المستشفيات في بغداد ودمشق والقاهرة، حيث كانت توجد الرعاية للمرضى النفسيين بطريقة انسانية وجو هادىء حيث الحدائق وشلالات المياه لتهدئة الأعصاب مع استعمال العلاجات والحمامات وأنواع خاصة من الغذاء. وكذلك وسائل التسلية، بل كانت كل مستشفى تضم مدرسة للأطباء والمساعدين وعيادات خارجية.

وتابع العالم في العصور الحديثة تطوير العناية بهؤلاء المرضى وظهر في أوروبا العالم الطبيب الألماني سيت توماس وشيارجي في ايطاليا وفلبس بينل في فرنسا ودنيال تيوك في بريطانيا ودورتيادكس في أمريكا، وظهرت المستشفيات المحاطة بجو مريح ومنع تقييد المرضى، وفي كل يوم نجد تطوراً كبيراً في العناية بهؤلاء المرضى، كما ظهر في بريطانيا قانون المرضى النفسيين لحمايتهم وحفظ حقوقهم . . . ويجب الأ ننسى أسماء أولئك العلماء في الطب النفسي الذين عاصروا هذه النهضة وفي مقدمتهم أميل كربلن، وشارلس داروين، وانتون مزمر، وسجمند فرويد.

والاسلام كنظام كامل للحياة الانسانية مستمد من وحي الله جلّ وعلا كما نزل على المصطفى عليه السلام وكما هو ثابت في السنة الشريفة والهدي النبوي المبارك، كل ذلك ساعد المسلمين على بناء نظام لحياتهم بعيداً عن العادات الجاهلية الضارة وما كان بينهم من عدواة وبغضاء، وبدلاً من ذلك انتشر الاخاء بين المسلمين جميعهم

وكذلك المحبة والأمال الكبيرة لمستقبل كله خير وسلام، وحياة صحية نفسية وجسمية سليمة، متعظين بما يصلهم من أخبار الأقسام الذين سبقوهم فيبتعدون عن مواطن الهلاك وأسباب العلل والسقم، ووصلوا بذلك الى أعلى مستويات الصحة النفسية.

والقرآن كتاب الله المقدس، وهو ليس كتاباً في الطب ولكنه أشار الى النفس البشرية بوضوح الخالق العليم، والذي لا تخفى عليه خافية، كما تطرق أيضاً الى المشاكل النفسية وأمراضها كما هو الحال في مواجهة الادمان على المسكرات والعلاقات الجنسية الشاذة أو الانتحار وغيرها من مشاكل المجتمع والأسرة، للحفاظ على ترابط سليم في المجتمع والأسرة وفي معاملات الزواج والطلاق والعناية بالأيتام والمطلقات وحماية المجتمع من الآثار الضارة للزنا وآثاره على التفكك الأسري، وكذلك على الاهتمام بالتعليم ومفهوم الحقوق والواجبات وأشياء كثيرة تنير الطريق للمسلم لحياة سعيدة وصحة نفسية وجسمية متكاملة في ظل عدالة اجتماعية، وهو نظام للحكم يثبت العدالة في العلاقات الانسانية والترابط بين الناس جميعاً على أساس المساواة والعدل، فيعيش الناس جميعاً في طمأنينة نفسية بل وفي ذلك أيضاً صحة الجسم بأكمله وصدق المصطفى - عليه أفضل الصلاة والسلام - وهو يقول ما معناه: «من كثرت همومه سقم جسمه، ومن أصبح آمناً معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وإن تعاليم القرآن والسنة المحمدية جعلت المسلمين يؤمنون

بالخالق الأعظم الواحد الأحد خالق السموات والأرض وما عليها
واليوم الآخر والجنة والنار . الله هو وحده الذي يستطيع أن ينفع أو
يضر ويمنح القوة والسلطان والثروة وليس أحد سواه ومحمد عليه
السلام هو رسوله الأمين أدى الرسالة وبلغ الأمانة وارتفع بالمسلمين
الى أعلى مراتب العقيدة الحقة حيث يشعر الانسان أنه في حمى الله
جلّ وعلا ولا يخشى سواه فتطمئن نفسه، وهو يمارس دعامة الاسلام
الأولى، بأن الله واحد أحد لا يعبد غيره ولا يخشى سواه، وأن محمداً
عبده ورسوله يهدينا الى طريق الايمان والسلام، وقد جمع شمل
المسلمين أبيضهم وأسودهم، عربهم وأعجميهم في أمة واحدة
سبيلها الطريق الحق محتمين بالخالق القادر على حمايتهم من أعداء
الدعوة وهكذا بالعزة والكرامة والطمأنينة والشعور برحمة الله
وغفرانه وحمايته الدائمة

والصلاة دعامة الاسلام الثانية والتي يؤديها المسلمون خمس
مرات في اليوم وهي السبيل الأوحى لتحقيق وتعميق هذا الايمان
والشعور برحمة الرحمن الرحيم لتخليص النفوس من رواسب الشعور
بالذنب والقلق، وصدق المصطفى - عليه السلام - وهو يقول ما معناه
«لو أن بجانب دار أحدكم نهراً يغتسل فيه خمس مرات في اليوم هل
يبقى من درنه شيء . تلك هي الصلاة» وقال - عليه الصلاة
والسلام - ما معناه «ما بين الصلاة والصلاة كفارة لما بينهما» .

وهكذا يشعر المؤمن وهو يؤدي صلواته المفروضة خمس مرات
في اليوم بأن ذنوبه محيت برحمة الله الواسعة فترتاح نفسه، ويزداد ايمانه

ويقينه بعبوديته لله العظيم، ويحاول ويجاهد في التوبة وطلب الرحمة والغفران من الغفور الرحيم وهو جل وعلا الذي يفرح بتوبة عبده وينشر رحمته على عباده فتتخلص نفسه من أدرانها ويعيدها مطمئنة مؤمنة . . . وقد أمر الرسول - عليه السلام - على حث الأطفال على الصلاة «مروا أبناءكم للصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

يستيقظ المسلم مبكراً قبل بزوغ الفجر بعد أن نام مبكراً ويلبي نداء الله . . . فيتوضأ والسواك مستحب مع الوضوء دائماً، وفي الوضوء نظافة للبدن وراحة للنفس وبعد الوضوء يسير الى المسجد واضعاً أحسن ما عنده من الثياب حيث يجتمع المسلمون في المسجد للصلاة وينشرون السلام بينهم ويشعرون بصلة الأخوة الاسلامية ووحدة العمل والمساواة في حى هذا الدين الحق . . . ويتقدم أعلمهم بكتاب الله ليؤمهم، فينظمهم في صفوف متراصة متوجهين الى الذي لا يعبد سواه بقلوب خاشعة مطمئنة وهي تسمع القرآن، وهي تذكر الله وتسبحه وتؤدي الركوع والسجود في سكينه وطمأنينه، ونظام دقيق موحد يتذللون للمخالق العظيم ويضعون جباههم على الأرض راجين غفرانه ورحمته، وهم بذلك يكتسبون العزة الاسلامية في مواجهة أعداء الله بقلوب عامرة بالايان والتآخي في الله، وينهون صلاتهم بنشر السلام عن اليمين وعن الشمال ويتبعون صلاتهم بالتسبيح والتكبير ليشوا في نفوسهم الطمأنينه والراحة النفسية، مما يبعث في نفوسهم الهمة والنشاط، لبدء حياة يومهم بالعمل مبكرين وصدق المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وهو يقول لأبنته فاطمة -

رضي الله عنها - ما معناه «استيقظي يا فاطمة بارك الله لأمتي في بكورها» .

وبعد عدة ساعات من العمل يجل وقت صلاة الظهر، وبالوضوء والصلاة والتسبيح والتحميد والتكبير يعيد المسلم لجسمه ونفسه نشاطها وقوتها وقد كان رسول الله - عليه السلام - عندما يرى في وجه أصحابه آثار التعب ينادي بلألاً قائلاً: «أرحنا بها يا بلال . . . يعني الصلاة، فالصلاة تجعل المسلم يعيش بقرب ربه، ويريح نفسه ويقلل من توتره أو شعوره بالذنب أو بالاحباط أو القلق والاكئاب نتيجة للعمل المضني في نهاره واحتكاكه بالآخرين ومواجهته لمشاكل الدنيا . . . والصلاة في المسجد تجمع المسلمين خمس مرات يومياً، فتزداد علاقة الأخوة والتعاون والتشاور للتقرب الى الله تعالى والعمل بيد واحدة لخدمة الدعوة . . . وفي أيام الجمع والأعياد يكون تجمع المسلمين كبيراً ويوم الحج يكون التجمع الأكبر حيث يتوافد المسلمون من جميع أنحاء العالم عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، تجمعهم كلمة التوحيد - لا اله الا الله محمد رسول الله - ويتشاورون في أمور المسلمين فيما يخصهم في دينهم ودنياهم وعزتهم في أكبر اجتماع للأمم قديماً وحديثاً للمناقشة والتخطيط محفوفين برحمة الله .

الاسلام منهج الحق في علاج الادمان على المسكرات والمخدرات .

من الملاحظ أن الدول الاسلامية تعاني أقل بكثير من غيرها من

مشكلة تعاطي المسكرات والمخدرات ، والقرآن الكريم قد عالج هذه المشكلة بطريقة تدريجية ، فكان أول الأمر أن أوضح للمسلمين مضار الخمر والميسر ، وأن الاثم في تعاطيها يفوق كثيراً ما فيها من منافع قال تعالى :

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ، ثم كانت الخطوة الثانية وهي ألا يقرب المسلم الصلاة وهو سكران وفي هذا سبيل الى المنع التدريجي المفيد قال تعالى : ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ . وامتنع تبعاً لذلك بعض المسلمين عن تعاطي الخمر حتى يتمكنوا من تنفيذ أوامر الله تعالى بالألأ يؤديوا الصلاة وهم سكارى ، أما الذين لم يستطيعوا أن يمتنعوا عن شرب الخمر وبالتالي لا يكونو في حالة من الصحوة قبل أن يصلوا فقد دعوا ربهم جلّ وعلا أن ينهى مشكلة تعاطي الخمر فأنزل الله تعالى الآية : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ وعند ذلك امتنع كافة المسلمين عن تعاطي الخمور بأنواعها ، أما أولئك القلة الذين لم يستطيعوا وقف شربهم للمسكر فقد وصفت الشريعة الاسلامية لهم العلاج العقابي بجلدهم أمام جمع من المسلمين فيكون ذلك ردعاً لهم ولغيرهم للامتناع عن التمادي في هذه المعصية .

وهكذا نجد أن الاسلام وجد الحل الأمثل لمعالجة مشكلة الادمان على المسكرات والمخدرات في عصر الجهالة والظلام ، والعالم اليوم عجز عن التخفيف من هذه المشكلة ، ولم تفلح طرقهم لانها من

صنع العباد وأنى لهم أن يحققوا ما حقق رسول الله - عليه السلام - .
﴿وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾

أما الركن الثالث من أركان الاسلام وهو الصوم في شهر رمضان من كل عام حيث يمتنع المسلم عن الشهوات من طعام وشراب وجنس أو اعتداء، وهذا يساعد في تنظيم العناية بصحة الجسد وتطهير النفس من الادران وكذلك الشعور بألم الفقراء المحرومين، وبالتالي العطف والتصدق عليهم وأن الامتناع الطوعي عن الشهوات يساعد المسلم على التحكم في الشهوة الجنسية إذا لم تسنح لهم الفرصة بالزواج، وصدق الرسول - عليه السلام - وهو يقول ما معناه: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم»

وكما يساعد الصوم الفرد على التحكم طوعياً في شهوته الجنسية فإن الصوم أيضاً يبعده عن أكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من الآثام.

وبالنسبة لتنظيم الثروة والأعمال، فإن نظام الزكاة في الاسلام وهي حق الفقير على الغني بنسبة ٢,٥ في المائة بالاضافة الى زكاة البدن والتي تقسم عادة أواخر أيام الصوم حتى يقبل العيد والفقراء لديهم القدرة على الاستمتاع بتلك الأيام، ويشاركون الأغنياء فرحتهم بالعيد، والاسلام يحث على صرف تلك الزكاة لفئات معينة من الناس هم في حاجة حقة الى المال، وعزة نفوسهم وايمانهم يمنعهم أن يمدوا أيديهم لطلب الصدقة، وعلى الأغنياء البحث عنهم ودفع

حقهم في الزكاة دون أن يشعروهم بأي مذلة أو اهانة والأخالفوا أمر الله .

كما أن الإسلام حث على تداول رؤوس الأموال وعدم كثرها وفي ذلك مجال لفتح باب الرزق الحلال والعمل للفقراء والمحتاجين، وفي نفس الوقت مضاعفة رأس المال وهو سلاح المسلمين للاعداد لمواجهة أعداء الله .

والربا محرم في الإسلام وفي نفس الوقت يحث الإسلام على مد يد العون والمساعدة لمن يحتاج المال، مرتجين في ذلك وجه الله تعالى أو الدخول في شركة متساوين في الربح والخسارة، وهذا هو أساس النظام المالي الإسلامي الحر السليم .

كما أن الدول الإسلامية متكفلة بتقسيم الثروة بين المسلمين عامة وضممان العيش الرغد لهم خاصة المحتاجين من اليتامى والنساء وفي ذلك حماية للمجتمع من الجرائم الأخلاقية والسرقات والاعتداءات والقتل والانتحار، وصدق رسول الله ﷺ وهو يقول: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها» .

وفي الأقطار الإسلامية ازداد الاهتمام بالصحة النفسية ولاظهار الحقيقة للوصول الى المستوى الجيد لمستقبل أفضل، لابد لنا أن نسلك المنهج الإسلامي لينير لنا طريق عدم الأخذ بما هو حديث في مجال الصحة النفسية والطب النفسي بما لا يتعارض مع مبادئنا وتراثنا وعقيدتنا